

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

WWW.almadasupplements.com

العدد (4289) السنة السادسة عشرة - الأربعاء (10) تشرين الأول 2018

ناظم حكمت

أي أثر ترك ناظم حكمت على الشعر العربي؟



أجملُ أنهار العالم لم نرها بعد
أجملُ أطفال العالم لم تكبر بعد
أجملُ أيام العمر لم تشرق بعد
وأنا لم أهنس في أُنك
أجملُ ما أتمنى أن أهنس لك به.

عرف الشعب التركي – كما يقول البخاري في تقديمه – اسم ناظم حكمت من خلال شعره البالغ البساطة والرقّة والصدق في التعبير عن مأسسة، في أيام كانت الثورة فيها تستخدم في أعماق الشعب، وتنداح على الأرض التركية، موقظة عصرا جديدا، عصر الجمهورية، لفحة تقدير إلى الشاعر الشاب الذي شارك في معركة الحرية بتفانٍ مذهل، ويعتب به إلى الاتحاد السوفياتي في منحة علمية لدراسة علم الاجتماع. وفي موسكو تفتح وجدان الشاعر على نبع جديد من منابع الإبداع الإنساني، والتصقق بأثنين من أهم الشعراء السوفيات وهما ماياكوفسكي ويسنين، وتشرّب تقاليد الشعر الأوروبي مضييفا بذلك الحائط:

وجودها معهم.

أثر ناظم حكمت – شخصياً وشِعراً – في الشعر العربي الحديث تأثيراً بالغاً، إذ صعد إلى الحياة الشعرية التركية والعالمية في لحظة مؤاتية، على المستوى العالمي كانت حركة المد الثوري الإشتراكي في أوجها، مع ازدهار الاتحاد السوفياتي، وتوهج الواقعة الإشتراكية، وحيث ذروة السريالية في الفن والأدب، ونجوم مبدعون يشكلون سماء زاهية في العالم كله: نيرودا، لوركا، إلبوار، أراغون، ماياكوفسكي، سارتر، غيفارا، غارودي، البير كامو، أندريه مالرو، خمينينث، ماتشادو، أو تامونو، بيكاسو، أندريه بريتون، وغيرهم. وعلى المستوى العربي كانت حركة التحرر الوطني العربية في عتفائها، إذ تحررت أكثر من بلد من نير الاستعمار، وصعدت نغمة الاشتراكية العربية في أكثر من دولة، كما ظهرت حركة الشعر الحاملة لواء التجديد والالتزام والحرية والنزعة الإنسانية الكونية (أو قبل الأممية)، وبيروز شعر التضامن مع الشعوب المقهورة والمناضلين في كل عالم، وشتى المعذبين في الأرض. (زار ناظم حكمت مصر عام ١٩٦٢ ضمن وفد من أعضاء مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا، والتقى كتابها وشعراءها، قبل وفاته بعامين.

في سياق حار عارم كهذا، كان طبيعياً أن يكون حضور هؤلاء الشعراء الإنسانيين العالميين في ثنائيا الشعر العربي الحديث حضورا ساطعا، وفي قلب هؤلاء ناظم حكمت. فكتب صلاح عبدالصبور عن لوركا، وكتب أحمد المعطي حجازي عن نيرودا، وكتب حسن فتح الباب عن ناظم، وكتب سعدي يوسف عن إلبوار، وكتب أدونيس عن بيكاسو، وكتب فؤاد حداد عن أراغون، وكتب بلند الحيدري عن لوركا. أما شعرا ونثرا ومذكرات لأن معظم هؤلاء الشعراء العالميين كانوا اصداقاء شخصيين للبياتي.

ومن القصائد النادرة في رثاء ناظم حكمت، أذكر قصيدة صلاح جاهين، ذلك أن كثرا من شعراء العامية المصرية كتبوا العديد من القصائد في رثاء ناظم، مثل عبدالرحمن الأبنودي وفؤاد حداد وسيد حجاب وسهير عبد الباقي وفؤاد قاعود. قال جاهين في قصيدته بكائية إلى ناظم حكمت :

من سنة مش جيت وودرت هنا/ ع الولد اللي في قصيدتك بورسعيد؟/ قلبه كان تفاحة خضرا ومات شهيد/ مش لقيته من جديد؟/ ولقيت قلبه حديد؟/ ولقيت شعرك بيتجسد علي لسانه نشيد؟/ ولقيت شعرك بيتجسد علي مر الزمن؟/ ليه تموت يا عم ناظم/ قبل ما أزمير تغني لك كمان؟/ كنت شمت في هذا الضوء يستطاع المتابع أن يربصد أثر ناظم حكمت علي الشعر العربي الحديث

نفاذة مطبخنا

ستودعي بنظراتها

وشرفتنا سترقع الغسيل المشهور قليلاً حتي

أمر،

لقد عشتُ سعيداً في هذه الدار.

نعم يا ناظم: المنفي حرفة شاقة، لكن الموت حرفة أشق.

لطالما تم التعرف على ناظم حكمت (١٩٠٢-١٩٦٣م) بوصفه "شاعراً تَرْكِيًّا ، لا بل هو من أبرز مُتصدري المشهد الشعري التُّركي. وأصبح "حكمت" رمزاً لمجمل أنساق الثقافة التُّركية الحديثة. فكثُرَت الدراسات التي انصبت على إبراز هذا الجانب دون غيره. هُنا يأتي الدور المُلتحف بالضرورة التاريخية للباحث المُدجج بعدة معرفية وثقافية رصينة يدفعهُ شغفه بالمعرفة لا غير ، في تلمس "المسكوت عنه" في إبداع ناظم حكمت ، وسبر أغواره ، والتعرف على ماهيته. لكن أي باحث نقصد؟ وأي ناقد يُمكن له أن يتعرّض للظاهرة المسرحية في الدول المجاورة لنا؟.

رُغم أن هذه المنطقة (وأقصد المسرح الأقليمي) هي أرض بكر ، لم يتم الحرث فيها بعد من قبل باحثينا ونقادنا المسرحيين.

وتساوقاً مع هذا المدخل ، يأتي كتاب الباحث والكاتب المسرحي "عامر صباح المزوك" الموسوم(مسرح ناظم حكمت) والصادر عن أرقق دور النشر العربية (الهيئة المصرية العامة للكتاب) في القاهرة ، ليكون إطلالة مُتقدمة على المسرح التركي المجاور لمسرحنا العراقي على الأقل جغرافيا. تتعنون الفصل الاول برلمحة تاريخية عن المسرح التركي) وتضمن مجموعة من اعلام يرتبط كفاحه بشعره، وشعره بكفاحه، ارتباطا متينا لا تنفصم عراه، حتي إنه صار – لا سيما أثناء سجنه وبعد رحيله - رمزا من رموز الشعر العربي الحديث ومادة من مواده النابضة. وأشهد أنني ما زلت أذكر كيف كانت فقرته التالية خيطا أساسيا من خيوط قصائدنا في النصف الأول من السبعينات، تتناص معها أو تلجج إليها إيجاباً أو تنصريحاً، كلها أو بعضها، نستكملها أو ننقصها، نُؤيدها أو نعارضها، نقول الفقرة:

أنا لا أملك ما أعطيه لشعبي المسكين سوي

تفاحة هي قلبي/ والنبحة لا تغلق بي

لتصلب شريان أو قسوة سجن/ فأنا أنظر عبر القضبان إلى الليل/ ورغم الجدران القائمة علي صدري/ يخفق قلبي مع أبعاد

نجم.

في عام ناظم حكمت سترثيه بكلماته، هو

الذي قال في قصيدة مراسيم جنازتي :

نأفذة مطبخنا

ستودعي بنظراتها

وشرفتنا سترقع الغسيل المشهور قليلاً حتي

أمر،

لقد كنتُ سعيداً في هذه الدار.

نعم يا ناظم: المنفي حرفة شاقة، لكن الموت حرفة أشق.

يفيد طلبة كليات الفنون الجميلة ومعاهدها في العالم العربي وللباحثين والدارسين والمهتمين في مجال النقد والأدب المسرحي، بوصفه منجزاً يسهم في تسليط الضوء على الثقافة المسرحية عامة، والثقافة المسرحية التركية خاصة تلك التي تغافلها الكثيرون من كُتّاب ونقاد ومؤرخي تاريخ المسرح. حيث يؤكد الناقد (م. نيقوليتشي) أن عمر المسرح التركي يمتد إلى أربعة آلاف سنة، ويضيف أن تحت يديه نصوصا مكتوبة مثلها الترك منذ التاريخ الموعّل في القدم، ويعتقد أن هذه المسرحيات كانت تقدم عقب كل معركة تنتهي بالنصر، ودليله على ذلك من خلال المثن الحكائي للنص المسرحي المشافي والسجون، وهذه التعددية تيرهن حكمته في غضون سنوات عاشها منتقلا في المنافي والسجون، وهذه التعددية تيرهن على كل منقذ يجد فيه متنفساً يعبر عن هموم الإنسان في زمن النحس والكسر والبغض.

تأمل ناظم، مبحرا، (بحسب المزوك) التراث الشعبي التركي وقراه قراءة نافذة متفحصة، ووجد فيه صورا موعّو عليها وسعى إلى تضمينها في قسم من أعماله المسرحية، وفي وقت لاحق من ذلك تحول بفكره صوب الإيديولوجية اليسارية ووجد فيها متنفسا لمزاجه الذي اعتل من الفكر السلفي السائد في تركيا، لذلك تبنى هذه الإيديولوجية وصور العديد من مسرحياته وهي ترتدي بنصوص ناظم حكمت التي وجدها هناك مرجعيات معرفية عديدة أثرت وأغنت تجربة ناظم المسرحية، وهذه المرجعيات توزعت بين سياسية واجتماعية وفكرية واقتصادية أو حتى فنية، الأمر الذي جعله يحتفي بكل هذه المرجعيات ويعكسها في متنّ دوناته المسرحية. حاول كتاب "المزوك عامر صباح" التسليط الضوء على المسرح التركي وعلى علم من أعلامه إنجاز منجزه المسرحي من خلال هذا الكتاب، لخمس مسرحيات رجل غريب الأطوار ، المنشورة عام ١٩٢٢ / مهما يكن النغم، المنشورة عام ١٩٥٤ / مسرحياته، كما أن الكتاب يعد جهدا معرفيا



مسرح ناظم حكمت

بشار عليوي

الحظة في حياته ، وكان ولادته تأتير كبير في مفردات حياته، وقد قابل ذلك بالإحتفاء بها والنظر إليها نظرة حب وإحترام فائقين حتى أضحت مرجعية مهمة أخذ عنها الكثير من صفات حياته. فالمدّة التي قضاهما في السجن مقابل أفكاره وأنبه منحتة تجربة غنية وكوّنت لديه مرجعية مهمة أمدته بالكثير من الأفكار التي أثث بها مسرحياته، لقد توصل المؤلف (عامر صباح المزوك) الى أن ناظم حكمت ، قد عرف المسرح منذ بواكير حياته الأولى، وقد تحولت الطبيعة الشعرية التي غلقت على حياة ناظم حكمت إلى ممارسة كتابية في الدراما واصطبغت بها ، فيما تمثل ناظم حكمت مسرح ماير هولد تمثلا حقيقيا نابعا من الإلتصاق المباشر بهذا المسرح. كذلك فإن حكمت "قد آمن بالمسرح الإيديولوجي الذي وجد فيه متنفسا ل طرح أفكاره وإستعراضها. ويمكن أيضا الوقوف على إتجاه هِام تمثل بإفادة ناظم حكمت من التراث مبيّنا قدرته في تناول الموضوعات الفولكلورية وإعادة صياغتها كما في مسرحية (حكاية حب أو فرهاد وشيرين)، كما جعل "حكمت" معادلا بين الحب والغنّ الذين سارا بالقوة والأهمية نفسيهما، وهذا النقل نفسه والموازنة الموضوعية تحولت إلى صراع داخلي في فضاء الجسد. فناظم الحكمت جهد ساعيا لجعل من الغنّ أداة لرقي وتغير العالم، كما في مسرحيتي (حكاية حب أو فرهاد وشيرين) و (مهما يكن النغم). لقد ظل ناظم حكمت يحلم طوال حياته بتحطيم البرجوازية ويظهر ذلك جليا في مسرحياته مهما اختلفت موزوعاتها وأفكارها. ونظرتّه تبدو مختلفة على الهمم الإنساني وكيفية علاج هذا المجتمع يشئى الأساليب والطرق والتفكير بإيجاد حلول ناجحة لتخليص الإنسانية من الظلم والاستبداد، وهي سمة في جميع مسرحياته.



شيئا من شعري لأول مرة أمام الجمهور الموسكوبي. كتبت في التاسعة عشرة من عمري، مرتعبا من قراءة شعري باللغة التركية، ومتريدا جدا. ولكن ماياكوفسكي دفعني وقال: 'تعال إليها التركي، لا تخف، على أية حال لن يفهموا شيئا، ولكنهم سيفقهون لك، لأنك شاعر ثوري. حقا لم يفهموا شيئا من شعري ولكنهم صفقوا لي بحرارة، وكان ذلك أول تصفيق لي هنا. درست في موسكو وقضيت فيها أجمل سنوات شبابي. وفيها أحببت وكتبت شعرا حقيقيا لأول مرة. رأيت في موسكو (الأوبرا). وتعلمت الكثير والكثير من الأشياء لأول مرة هنا. تعرفت على مترجم اشعاري، الشاعر أوارد باغريتسكي، ولهذا اعتبر نفسي موسكوبيا قديما. سابلغ الستين من العمر قريبا. أحاول كتابة الشعر والمسرحيات ورواية واحدة. ربما سأنجح في كتابة الشعر، وستكون مسرحيتي سيئة، وسأفشل في كتابة الرواية.

ضحك في القاعة!

– والان أسأل زملائي الشعراء المترجمين قراءة ما كتبتهم من قصائد في الأونة الأخيرة. وكأنها تقرير ي المقدم اليكم. ولكن قبل ذلك أريد أن أقرأ عليكم إحدى قصائدي باللغة التركية وهي بعنوان (بحر قزوين). هل أنتم موافقون؟. عندما يطلب مني قراءة شيء من شعري أمام الجمهور أختار هذه القصيدة القديمة لأنني لا أخفظ غيرها عن ظهر قلب. هذا أول، ولأنها أسهل فهما من حيث الإيقاع ثانيا. الآن أنا لا أكتب مثل هذا الشعر. كنت أكتب هكذا عندما كنت في العشرين من عمري.»

كان كل من في القاعة يصغي بانتباه وهم يجلسون أنفاسهم. وعندما انتهى الشاعر كلامه، دوت عاصفة من التصفيق المتواصل. ثم قرأت الشاعر المترجمة (فيريا بألوفافا) مقاطع من مسرحية حكمت (البانوراما الإنسانية). القاعة صامتة. لا تأمة ولا سعال، ولا صوت تحريك مقعد. قال الشاعر: «استلمت الآن ورقة من أحد الحاضرين يقول فيها: «الرفيق ناظم، نحن نحبك جدا، ولهذا جئنا لنستمع إلى أشعارك الرائعة، ولنعرف رأيك في المسرح وعن حال الفن اليوم عموما.»

ناظم حكمت: «بعد المؤتمر العشرين فتحت النوافذ على الحياة الثقافية في روسيا – هذه حقيقة! ولكن ظهرت على هذه النوافذ مشبكات مختلفة في الأونة الأخيرة – هل هذا أمر طبيعي؟ الجديد سينتصر حتما. أنا متأكد من ذلك. وبالمناسبة إلى المسرح أيضا. لقد شاهدت العصر الذهبي للمسرح السوفييتي، قبل أربعين عاما، وعندما عدت إلى موسكو في عام ١٩٥١، وجدت أن كل

الجليد. هبت رياح التغيير على روسيا في كافة مجالات الحياة، وتشرع الروس بفتح الابواب أمام الأجانب وخاصة الطلبة من بلدان العالم الثالث ومنها العراق. لم يكن يمر أسبوع دون أن احضر أمسية شعرية أو أدبية في هذه القاعة أو تلك. و لن تتقارنه بالشمس. هذه ليست قصائد سيئة ذات مرة قال حكمت لصديقه الكاتب والشاعر ايليا الهرنبورغ: 'إنني احترم جدا الرفيق ستالين، ولكنني لا أحتمل القصائد التي تقارنه بالشمس. هذه ليست قصائد سيئة فقط، بل تم عن نوق سيء. في شباط عام ١٩٥٣ أصيب حكمت بأزمة قلبية وظل طريح الفراش في حالة حرجة لعدة أسابيع. وتقول الطبيبة التي كانت تعالجه، وأصبحت في ما بعد على علاقة حميمة معه: 'لقد نجا حكمت بأعجوبة اذا أخذنا بنظر الاعتبار مستوى الطب في ذلك الوقت.

صراحة غير معهودة

في أوائل الستينات- في فترة نوبان



إذا كانت إيطاليا بلد الفنون التشكيلية، وألمانيا بلد الموسيقى، فإن روسيا بلد الشعر.. فقد كان الشعر على مدى مئات السنين أحد أهم روافد الثقافة

الروحية للشخصية الروسية. وحين يجمع عدد من الأصدقاء أو الزملاء – سواء في مناسبة عائلية، أو حول موقد النار في أعماق الغابة الروسية الساحرة في سفرة استجمام أو في بعثة جيولوجية – فأن الحديث لا يخلو عن الشعر والشعراء وقد يصاحبه العزف على الغيتار. ولا يقتصر الأمر على الشعراء الروس، بل يرددون أحيانا أبيات من قصائد كبار الشعراء الأجانب مترجما إلى اللغة الروسية شعرا. كمر مرة سمعت في موسكو يرددون بعض أبيات شعر الشاعر التركي العظيم ناظم حكمت.

في حضرة ناظم حكمت

جودت هوشيار

« أجمل الأيام، تلك التي لم نعشها بعد أجمل البحار، تلك التي لم نبحر فيها بعد أجمل الأطفال، هم الذين لم يولدوا بعد أجمل الزهور، تلك التي لم نرها بعد أجمل الكلمات، تلك التي لم أقلها لك بعد وأجمل القصائد، تلك التي لم أكتبها بعد.» ورغم أنني كنت وما أزال من عشاق شعر ومسرح ناظم حكمت، وقرأت كل ما ترجم منها إلى اللغة العربية، غير أنني سمعت تلك الأبيات لأول مرة، من فتاة روسية – ونحن على ظهر باخرة سياحية في صيف عام ١٩٦١ ضمن مجموعة طلابية من جامعتنا، في ليلة صيف روسية بيضاء، حين يظل الأفق مضيئا طوال الليل.

قضى حكمت حوالي ١٧ سنة في السجون التركية بسبب شعره الإنساني الجميل التي فسرت له السلطة كشرع ثوري يروج للشيوعية. وفي أوائل ١٩٥١ أعلن الشاعر المشرف على الموت بسبب عجز في القلب، الأضراب عن الطعام مطالبا بإطلاق سراحه. الاتحاد السوفييتي في حزيران ١٩٥١.

أستيقظ في هذا الحلم وأحيا وأقتفي أثره ما الذي لم يجرمني منه الفراق؟ إنتزع مني الأمانى – بالكيلومترات والأسى بالأطنان شعر رأسي والأيدي التي صافحتها غير أنني لم أفارق حلمي وحده تجولت في حلمي في أوروبا في آسيا في أفريقيا الأميركيان وحدهم منعوني من الدخول أحببت كثيرا من الناس في حلمي من البحار من الجبال من السهول دهشت لأشياء كثيرة: كان حلمي في السجن – نور الحرية وفي المنفى – تابل خبزي ومع إشراق كل يوم مع أول خيوط الضياء كان حلمي – الحرية العظيمة لبلادي.

توفي ناظم حكمت في صبيحة يوم الثالث من حزيران ١٩٦٣ عندما كان يمد يده إلى صندوق البريد قرب باب شقته ليبتأول جرائد الصباح التي كان مشتركا بها ، نقل جثمانه إلى القاعة ذاتها التي شهدت الاحتفال بالذكرى الستين لمولده، وجاءت جماهير غفيرة لألقاء النظرة الأخيرة عليه، ودفن في مقبرة العظماء في موسكو. و ضريحه منحوتة على شكل إنسان يحمل على ظهره صخرة كبيرة ترمز إلى تركيا التي حملها معه أينما حل وعاش. هي من ابداع الفنان العالمي مارك شغال. كلما زرت موسكو أقف خاشعا أمام ضريح ناظم حكمت، وأشاهد كيف ان الناس من مختلف الجنسيات يضعون باقات الورد عليه وهم يقفون خاشعين، وربما يرددون بينهم وبين أنفسهم بعض أبيات شعره السهل الممتنع. في عام ٢٠٠٩ قررت الحكومة التركية إعادة الجنسية التركية إلى شاعرها العظيم بعد اسقاطها عنه اثر لجوئه إلى روسيا. وعاد شعره المحظوظ سابقا إلى الجمهور التركي مجددا، وحتى الرئيس التركي أردوغان يردد في خطبه أحيانا أبياتا من شعره الجميل. أحدث ناظم حكمت ثورة حقيقية في الشعر التركي محطما القيود التقليدية التي كانت تكبله، وقد أسبغ النقد عليه لقب (بوشكين التركي). تأثر العديد من الشعراء العرب بشعر ناظم حكمت منهم عبد الوهاب البياتي وبلند الحيدري ونزار قباني ومحمد درويش.

الصعب جدا اصطفاها. ولكن الصيادين يضربونها على خيشومها فتزل، وبذلك يسهل اصطفاها. أنفي كبير والحمد لله. ومهما تلتقت من ضربات على أنفي فأنني أوصل الكتابة.»

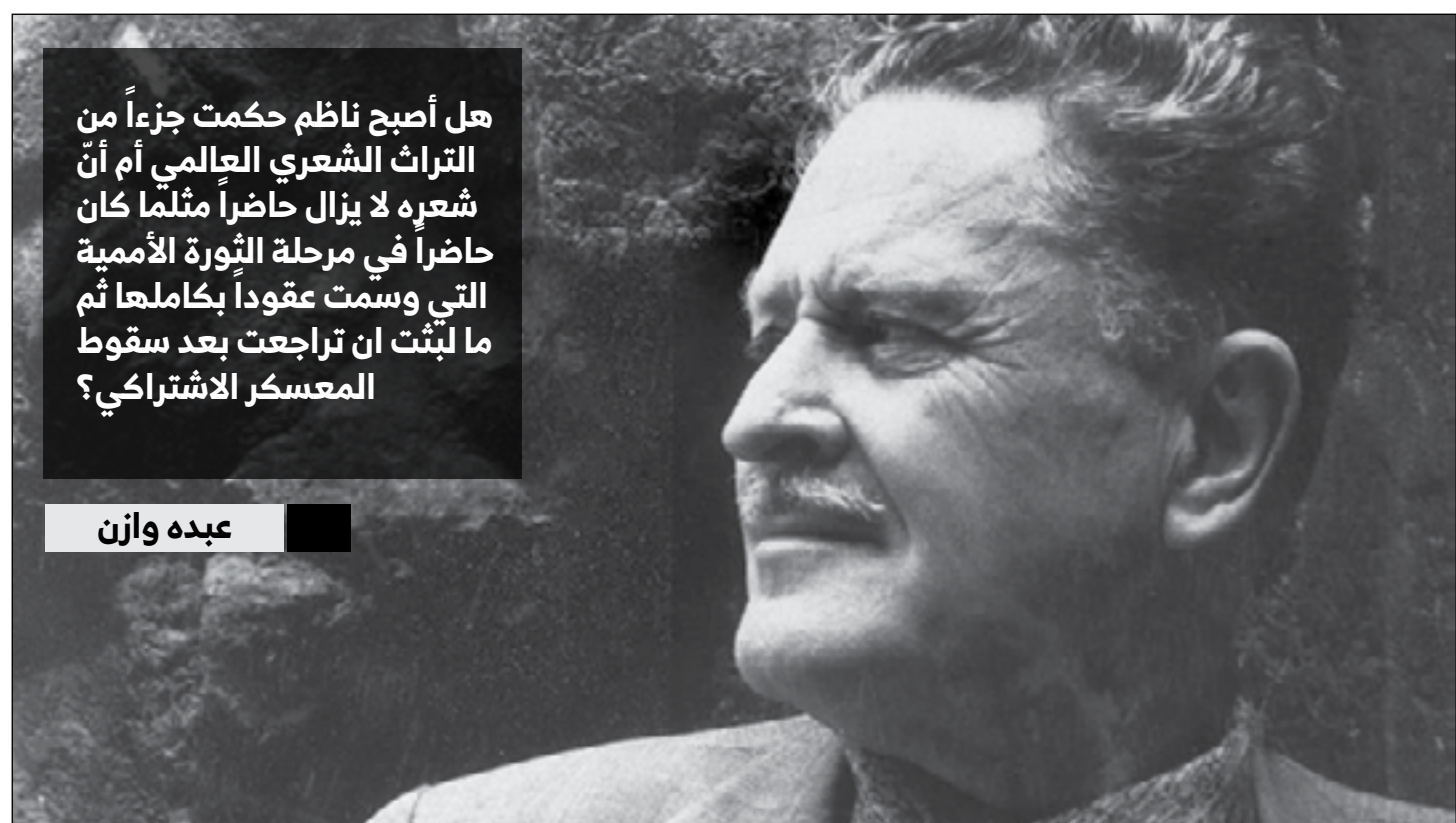
ثم تحدث الشاعر عن منع عرض الكثير من مسرحياته في الاتحاد السوفييتي رغم أنها تعرض بنجاح في العواصم الغربية ومنها مسرحية «هل كان هناك إيفان إيفانوفيتش؟». وقال حكمت: «كلما سألت احدا من أصدقائي عن السبب، لا تلقى جوابا. يمكن أن أسأء وأنوقف عن الكتابة ولكنني واصلت الكتابة وكتبت بعدها مسرحية «أن تكون أو لا تكون» وهي مسرحية جادة للغاية. كتبناها وأنا أفكر في مصير صديقي الكساندر فادييف وغيرها كثير. اذا كنت حقا كاتباً فلن تتوقف عن الكتابة. جلبت لي زوجة بولغاكوف روايته «المعلم ومرجيتا» واعدة مخطوطات أخرى له. نتاجاته ممنوعة من النشر أيضا، ولكنني على ثقة أن اولادكم سيرقون نتاجات بولغاكوف الممتازة و ستدخل ضمن المقرر الدراسي في المدارس في زمن احفادكم مثل نتاجات بوشكين ودوستوفسكي.»

رأيت ناظم حكمت للمرة الأخيرة في بيت الأبناء (مقر اتحاد الكتاب السوفييت) عام

الأسى: أنا الآن في الستين لم أكن أبلغ العشرين حينما رأيت حلما وما زلت أراه كل حين أراه صيفا أراه شتاء حينما يهطل المطر وحينما تتلبد السماء بالغيوم

ناظم حكمت شرع مفهوم الالتزام على أبعاده الإنسانية

كيف نقرأ اليوم الشاعر الذي أحدث ثورة في الشعر التركي و الأممي؟



هل أصبح ناظم حكمت جزءاً من التراث الشعري العالمي أم أنّ شعره لا يزال حاضراً مثلما كان حاضراً في مرحلة الثورة الأممية التي وسمت عقوداً بكاملها ثم ما لبثت ان تراجعت بعد سقوط المعسكر الاشتراكي؟

عبد هازن

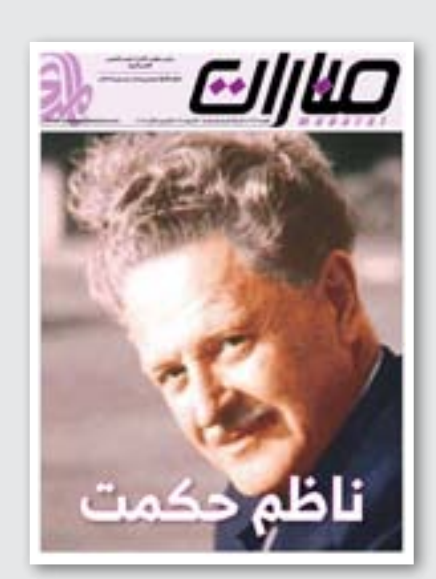
العالية. أما القصائد التي سعي عبرها الى بلورة النظرية الماركسية شعريا وإلى ترجمة كتاب رأس المال شعريا أيضا فهي قصائد مملّة ورتيبية و تعليلية في المعنى البرشطي. وإن كان من الممكن أنسخة العالم والحياة والطبيعة وبعض الرموز المسيحية (قصيدة وجوه نساننا) فهل يمكن شعرة النظرية الماركسية والفلسفة المادية؟ لعل التركيز على هذه الناحية غير اليسيرة من تجربة ناظم حكمت يوقعا مرة أخرى في المتاهة التي أوقعها فيها النقد الاشتراكي سابقاً. فهذا الشاعر الكبير يصعب حصره ضمن تخوم المفهوم الاشتراكي للشعر والفن، وهو أصلاً استطاع ان يتخطاها مؤسساً شعرية الخاصة والفريدة والتي كانت حصيلة موهبته الكبيرة وثقافته الكبيرة في أن معا. فهذا الشاعر الذي نشأ على قصائد الديوان العثماني التي تدمج بين التركية والعربية والفارسية سرعان ما تعرّف في مقتل حياته على الشعر الروسي الحديث في العشرينات والمتئل في التيار المستقبلي الذي كان الشاعر ماياكوفسكي كان شاعراً حينذاك أيضا. إلا ان ناظم حكمت الذي لم يستوعب تماما أثر هذين التيارين نجح في صهرها ضمن نزغته الغنائية التي وسمت أعماله الأولى. وكان يصعب عليه، هو الذي نشأ على الوان التراث الشعري الشفوي الذي يتناقله الأثران، ان يتخلّى عن جذوره الغنائية حتى بعدما أصبح اشتهر اكيا. وكم أصر على العنصر الغنائي في القصيدة ولكن ليس الكلاسيكي الحزين كما يعبر. وكم أثر ان يتحدث عن الاستجابة الواقعية الجديدة عوضاً عن الواقعية الاشتراكية أو الواقعية المادية وسواهما من الموقلات التي راجت في تلك الفترة. وينبغي عدم إغفال الأثر الذي تركه الشعر الفرنسي في تجربته أيضا وهو كان قرأ عيون هذا الشعر في مطلع عمره ثم نشالات الشعوب... في سبيل الاستقلال القومي والعدالة الاجتماعية والسلام... وما يميز انتماءه الاشتراكي كونه انتماء إنسانيا وثقافيا في الحزن عينه. فهو يعتبر الانتماء الى الثقافة الإنسانية التي يطلقها ناظم حكمت على الشاعر (قصيدة المرحلة مثلا) فهي تستدعي بعض استعارة أسطورة عوليس ومدينة ايناكيا في التراث الإغريقي وتسبق على الطابع الأممي بعدا شعريا تقاطع فيه حال الغربية او الترحال ومقام الانتظار وحلم العودة.

من العالم ولكن بجذور تضرب في أديم الوجودان التركي. وها هو يقول في قصيدة موجهة الى كتاب آسيا وأفريقيا: إخواني / لا تنظروا الى شعري الأشقر/ فأنا أسويي/ لا تنظروا الى عيني الزرقاوين/ فأنا أفريقي. هذه النبرة الطوباوية سرعان ما شاعت في قصائد عالمية كتبتها شعراء اميركيون هامشيون وغنتها فرق من اميركا اللاتينية بين الشعر والحياة كما لم يجمع بينهما سابقاً وجاعلا من القصيدة مرآة ل الشعب (وعربيا أيضا) وفي حصره ضمن الإرث الاشتراكي الذي جعلته التحولات الأخيرة من صنيع الماضي. لكن ناظم حكمت هو أبعاد بل أعفق من ان يحدس في سياق الأوب الذي سمي واقعيا أو اشتراكيا أو أمميا. وقد يكون صديقه الرسام التركي عابدين دينو أصاب تماما حين قال: حياة ناظم حكمت في نظر كل الذين عرفوه، لا تستطيع إلا ان تكون في صيغة الحاضر المستمر. لعل السؤال الأساس الذي يواجه قراء ناظم حكمت في العالم اليوم هو: كيف تتم قراءة ناظم حكمت؟

يقول الناقد غوزين دينو ان يكسر القواعد العروضية وأن يتخطى الموضوعات الثابتة والجماليات اللغوية والشكلية التي رسخها الشعراء الذين سبقوه عبر إنكائه نار التحديث في الهشيم الشعري. وساعده تأثره بالشعر المستقبلي الروسي وسواه في ان يكتسب مواصفات جديدة تجمع بين الطرافة والأصالة كونها تنطلق من التراث الشعري الشعبي المكتوب والمحكي. وتمكن ناظم حكمت انطلاقاً من مرجعيته المحلية او التراثية ومرجعته الثقافية ان ينشئ جدلية شعرية فريدة جعلته في مصاف الشعراء الثوريين في العالم. ولعل هذا ما عبر عنه تريستان تزارا حين قال في تقديمه ناظم حكمت: اهتدى ناظم حكمت وخصوصا من خلال تعميقة المناهات التي كانت تدمد بها تقاليد بلاده وأساليبها وقد تبني بعض صيغها في التعبير بعيد منحها طابعها الحاضر والحديث، اهتدى الى احتواء مضمون هذا الشعر الذي تعصف فيه تلك الحرارة الإنسانية وحيث النداءات الى العدالة والى الانتفاض على الاستبداد تحمل نكهة الحياة نفسها.



أحدث ناظم حكمت ثورة في الشعر التركي منذ ديوانه المدينة التي فقدت صوتها وهو يعتبر بمثابة الديوان الأول (١٩٣١) علي رغم ان الشاعر كان أصدر كتيبا شعريا في العام ١٩٢٩ عنوانه ٥٣٨ سيطرا. أسس الشاعر الشاب حينذاك شعرا جديدا قائما على تقنية شعرية جديدة وروح جديدة (مثلا أقول مضمونا جديدا) منفتحة علي الإيديولوجيا الثورية والوعي الاشتراكي. حملت قصائده هذه رؤية مختلفة الى العالم انطلاقاً من الصدمة التي أحدثتها الحياة المدنية الحديثة والمجتمع الصناعي. وحملت القصائد أيضا رؤية مأسوية لا للناس أفرادا وجماعات، رؤية لا تخلو من الأمل والرجاء الذي أنكته الثورة الاشتراكية. لم يكن ناظم حكمت يميل كثيرا الى بناء نظرية شعرية كما يعبر الناقد الروسي اكبر باباييف. لكنه لم يتوان عن كتابة بعض النصوص التي تعبر عن رؤيته الى الشعر وعن فنه الشعري. فالشاعر كما يعبر كان يحس ان ثمة حاجة في قرارته للتعبير شعرا عن أمور لم تكن قبيلت قبلا. وبعدها عاش هوموم الناس عن كتب وخصوصا في الأرياف والمناطق وبعد اطلاقه على مجريات الثورة الروسية بدأت تشغله مسألة البحث عن شكل شعري جديد يلائم المضمون الجديد. ويشير ناظم حكمت الى أنه بدأ العمل علي القافية ثم حاول ان يضع القوافي في ختام الأبيات مرة ومرة في بدايتها. ويعترف هو نفسه بالآثر الذي تركه فيه شكل القصيدة التي كان يكتبها ماياكوفسكي موزعا أبياتها علي الصفحة البيضاء وكان الأبيات موجات لإيلا يؤكد تحطيه إياها، فهو لم يكتب إلا ما يسديه شعرا حيا وعاريا. وأصر علي أن الشاعر الحقيقي لا يخضع لأي قاعدة فنية مطلقة وثابتة. التحول صفة أساس من تجربة الحياة



manarat
WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير



رئيس التحرير التنفيذي

علي حسين

سكرتير التحرير

رفعة عبد الرزاق

الاخراج الفني

خالد خضير



طبعت بمطابع مؤسسة المدى

للإعلام والثقافة والفنون



الشاعر ناظم حكمت والدعوة إلى الحرية

علوان السلطان

الشعر عند الشاعر قضية وغاية فضلا عن انه وسيلة.. لذا فهو يجمع بين الكلمة والموقف بعيدا عن الازدواجية التي هي في جوهرها عجز عن المواجهة لانه لم يعيش حياته الا شاعرا في الوطن والسجن والمنفى.. حتى انه حين وقف امام المحكمة قال مدافعا عن نفسه (الدولة تخاف من الشعر..). لانه مخيلة الشاعر المقلقة للانظمة دوما.. كونه ينشأ على ضفاف الحلم الباحث عن مدينته الفاضلة.. على اثر ذلك حاز على جائزة السلام العالمي مناصفة والشاعر الأرجينيني بابلو نيرودا.. بعد ان ترجمت اعماله لاكثر من خمسين لغة وكان لها تأثيرها على الانسانية لما تحمله من احساس مرهف ونفس ثوري شفيف ودعوة للحرية.. فضلا عن انها تعيش الامل الانساني في مواجهة الياس.. لذا كان يردد (تفاؤلي هذا الكنز الفريد الذي لا ينضب).. وفي شهادة لزوجته: ان ناظم حكمت كان يصحو كل صباح ليذهب راجلا الى مبنى البريد تسقطا للرسائل المقبلة من الوطن البعيد تحمل اخباره..

وكانت تلك الاخبار زادا وملهما وبعثا على الدفء في برد الروح الذي يجتاح المنفى.. وفي صباح احد ايام الصيف من عام ١٩٦٣ خرج الى مئوأة اليومي نحو البريد.. لكنه لم يعد.. لقد سقط ميتا في الشارع وهو في طريقه متلهفا لرسائل الوطن....

ابنتها الريح اسرعي وافهميها
لوعتي هذه
ولا تعودي
لتزيدي الام قلبي

باتفاق النقاد الذين اكدوا تفوقه في توسيع آفاق الشعر التركي وفي تجديده وتجاوزه القوالب الكلاسيكية الجاهزة (بتكسير القواعد العروضية وتخطي الموضوعات الثابتة والجماليات اللغوية والشكلية التي رسخها الشعراء الذين سبقوه عبر اذكائه نار التحديث في الهشيم الشعري).. على حد تعبير الناقد غوزين دينو.. كل هذا دعا الناقد نعمت ارزيك ليضعه في مستهل تيار الشعر التركي في الانطولوجيا التي صدرت بالفرنسية عن دار غاليمار.. كون الشاعر يريد من نصه الشعري القصير او الملحمي . الدرامي ان يكون شاهدا لعصره والمرآة المتعاقبة.. لذا فهو لم يكتف بثورته اللغوية والشكلية والمضمونية المستوحاة من الوجدان والذاكرة بل تجاوز ذلك الى المفهوم الشعري الجامع بين الشعر والحياة.. حتى انه عندما يكتب عن هيروشيما او بورسعيد فهو يكتب انطلاقا من موقف ورؤية انسانية وثقافية كاشفة عن انتمائه الكوني..

هل تذكرين ذلك اليوم الثلجي؟

نلك الشتائي الذي تقابلنا فيه

كنت اراقبك فيه عن بعد

ترى ما الذي تبحث عنه هذه المرأة؟

في الثلج

سوف لن ينسيني حتى الربيع الاخضر

تلك النظرات التي ملأت قلبي بحبك /ص ١٨

فالشاعر يعبر عما يجيش في نفسه من عاطفة تجاه الوجود الحقيقي.. المرأة.. التي تعني (الوطن / الحبيبة/ الزوجة..). كون

التي تتألف ورؤية الشاعر الانسانية.. كونه يرى (ان الشاعر الحقيقي لا يخضع لاي قاعدة فنية مطلقة او ثابتة)..

لما كانت يدي تبحث

عن يدها في الفراغ

اربعين يوما دون انقطاع

شاهدت اول نجمة

ملأت قلبي الفراع

اربعين يوما ابحت عن حبيبي

حين شاهدت وجهها

فقدت شعوري بالنجوم /ص ١٦

فالنص تغلب عليه الناحية العاطفية في نقل التجربة المشهدة الهادئة والنبرة الوجدانية بوساطة الصورة التي تتشكل من جزئيات مؤتلفة في تعابيرها المكتنزة بدلالات نفسية وشعورية مع خيال شعري يلف وجودها.. فضلا عن ان شعريته لا تخلو من مبدأ الصنعة التي تسهم في مطابقة الشكل والمضمون مع ابتعاد عن الزخرف والافتعال مع ايجاز وتكثيف واقتصاد لفظي وبساطة ساحرة ومواقف واضحة.. كون الشاعر جرب كل الاشكال الشعرية ابتداء من تشبعه باناشيد الصوفية التي شكلت وعيه الشعري.. ومرورا بشبابه المميز بنشاطه السياسي الذي انبثق من مسؤولية مجلة المطرقة والمنجل ومن ثم السفر الى روسيا ودراسة علمي الاجتماع والاقتصاد.. فعمله معلما تنويريا ومترجما ومراسلا وكاتب نصوص سيمية.. اضافة الى ذلك ريادته للشعر الحر (الشعر المنثور) والحدائث بمفهومها الشامل..

كتاب (شعر ناظم حكمت) بعد انجاز ترجمته بانامل الدكتور مصطفى صابر وسافرة جميل حافظ.. والذي احتضن بين دفتيه قصائد منتخبة من ديوان الشاعر الاول (تحت اشجار اليزفون).. والتي تعبر عن وجدان الشاعر في تلك السن المبكرة.. وقد تمثلت في (سلام الشهداء/ نداء الى البحر/ نحن والبحر/ البكاء فوق السرو/ ايمان/ الغرام الابدي/ طريق الخيال/ السيدة النائمة/ الحبيبة/ الينبوع ذو العين الباردة).. مع نص للشاعر الالماني ميللر مترجم عن الانكليزية بقلم القاصة سافرة جميل حافظ..

وناظم حكمت في قصائده هذه يشكل ثمرة الرؤية الانسانية التي ترى ان الانسان اثنان راس مال ومركز الوجود.. كونه حياة الشعر ووجده بجوهره..

ايها المار لا تنقل الوطء حين تمر

فهذه الارض قد روتها الدماء

والاحجار قد سحرتها الدماء

ايها القاتل.. انتبه لئلا تصفك

تلك الاحجار المسحورة /ص ٨

فالنص يتجاوز القوالب الجاهزة بتنوع ادواته اذ المزج بين النثر والشعر مع توظيف التراث المحكي واستخدام اسلوب التناس الذي هو تشكيل نص جديد من نصوص سابقة.. باعتبار النص فاعلية المخزون التذكري لنصوص مختلفة.. اذ يلتقي الشاعر في بعض الافكار والصور مع المعري في نصه.. (ما اظن اديم الارض الا من هذه الاجساد).. اضافة الى انه يقتنص المجازات والاستعارات والرموز